DİA için kapağı çekildi
A. Yücel

رحمة من الرحمن

في

تفسير وإشارات القرآن

من كلام

الشيخ الأكبر

محيي الدين ابن العربي

الجزء الأول

جمع وتأليف

محمود محمود الغراب

وعلى هامشه إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن

للشيخ الأكبر ابن العربي

حقوق الطبع محفوظة

١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م

مطبعة نضر - هاتف ٢٢٢٣٦٣

ن : ١٥٠٠

تصوير ومونتاج وتحضير بدلجات
زكوعزان محمد خير الحلبي دمشق هـ ٢٣٥١١٤

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الحمد لله الذي علّم القرآن من حضرة اسمه الرحمن ، وخلق الإنسان علمه البيان ، وأبان ما في محكم تنزيله ، وشرّف العلماء بمكنون تأويله ، فأعربوا عنه بأفصح لسان ، لكل قاص ودان ، والصلاة والسلام على مَنْ كان خُلقُه القرآن ، سيدنا محمد ﷺ ، ذو الخلق العظيم ، والنور المبين ، الركن المكين ، بحر المعاني ، وصاحب السبع المثاني ، الذي أوتي علم الأولين والآخرين ، وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى لمن اقتدى ، وعلى تابعيهم بإحسان من الورثة الكرام ، والعلماء الأعلام .

أما بعد فقد ترجم عن هذا القرآن العظيم ، جماعة من أئمة الدين ، كل قد اجتهد الغوص في معانيه ، والإعراب عن إعجاز مبانيه ، فجزاهم الله تعالى عن الإسلام والمسلمين ما هو أهله . ومن هؤلاء العلماء ورثة الأنبياء الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي ، فإن له على القطع تفسيرين على الأقل ، هما : كتاب الجمع والتفصيل في معرفة معاني التنزيل ، والثاني هو إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن ، فيقول عن الأول في الفتوحات المكية ، الجزء الأول ص ٥٩ عند الكلام على حروف المعجم في أوائل سور القرآن : « ذكرناه في كتاب الجمع والتفصيل في معرفة معاني التنزيل »، ويقول في ص ٦٣ : « وقد أشبعنا القول في هذا الفصل عندما تكلمنا على قوله تعالى (اخلع نعليك) في كتاب الجمع والتفصيل » ويقول في نفس الصفحة عند كلامه على مراتب الحروف : « هذه كلها أسرار تتبعناها في كتاب المبادي والغايات وفي كتاب الجمع والتفصيل » ويقول في ص ٧٧ عند كلامه على حروف المعجم : « من أراد التشفي منها فليطالع **تفسير القرآن** الذي سميناه الجمع والتفصيل ، وسنوفي الغرض من هذه الحروف إن شاء الله في كتاب المبادي والغايات لنا ، وهو بين أيدينا » . أما عن التفسير الثاني « إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن » فيقول في الجزء الثالث

من الفتوحات المكية ص ٦٤ عن علم الإصرار وبما يتعلق : «قد بيناه في كتاب إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن في قوله تعالى في آل عمران (ولم يصروا على ما فعلوا) فانظره هناك».

هذا يؤكد وجود التفسيرين للشيخ رضي الله عنه ، ولا نعلم هل الإشارة بقوله «التفسير» أو «التفسير الكبير» أيشير بذلك إلى أحد هذين التفسيرين أو إلى كليهما ، أم أن هناك تفسيرين آخرين له ، حيث يقول عند كلامه عن الذكر في الفتوحات المكية الجزء الرابع ص ١٩٤ «اعلم أن كل ذكر ينتج خلاف المفهوم الأول منه فإنه يدل ما ينتجه على حال الذاكر ، كما شرطناه في **التفسير الكبير** لنا» ويقول في الفتوحات المكية الجزء الأول ص ٨٦ عندما يتكلم عن الذات والحدث والرابطة وأنه يدخل تحت كل منها أنواع كثيرة ، يقول «وقد اتسع القول في هذه الأنواع في **تفسير القرآن** لنا» ويقول في نفس الجزء ص ١١٤ عند شرحه لقوله تعالى : «رب العالمين» يقول : «وقد ذكرناه أيضاً في **تفسير القرآن** لنا» ويقول في الجزء الثالث من الفتوحات المكية ص ٦٤ عند كلامه على علم الجزاء الدنياوي والأخراوي : «وقد بيناه في **التفسير** لنا في فاتحة الكتاب في قوله تعالى (ملك يوم الدين)» فأشار الشيخ إلى بعض كتبه بكلمة «التفسير» تارة ، وبكلمة «التفسير الكبير» تارة أخرى ، ولقد فقدت المكتبة الإسلامية للأسف الشديد هذا التراث العظيم ضمن ما فقدته ، فإنه لا يوجد أثر لهذه التفاسير المشار إليها إلا تفسير فاتحة الكتاب وجزءين من سورة البقرة من تفسير [إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن] أما التفسير الأكبر وهو [الجمع والتفصيل في معرفة معاني التنزيل] فإنه لم يبق منه أثر ، ومما يدل على احتمال إكمال تفسير «إيجاز البيان» أن الشيخ يشير فيه إلى أنه سيأتي على تفسير آيات في مواضعها من سورة النساء والمائدة والأعراف ، وسورة محمد وطه وفصلت وص ، كما نص في الفتوحات المكية وأحال إلى الرجوع إلى سورة آل عمران من هذا التفسير ، كما سبق أن أوضحنا .

أما تفسير القرآن المطبوع باسمه والذي يتداول بين أيدي الناس في مجلدين ، فقد سبق أن أشرنا إلى أن هذا التفسير ليس للشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي ، ولا صلة له به ، وإنما هو لعبد الرزاق الكاشاني المتوفى عام ٧٣٠ هـ أي بعد وفاة الشيخ الأكبر بحوالي مائة عام ، والنسخة الخطية لهذا التفسير موجودة بالمكتبة السليمانية بتركيا تحت رقم ١٧ ـ ١٨ وتحمل خاتم المؤلف عبد الرزاق الكاشاني ، وسيرى القارىء والباحث عن الحقيقة الفرق

الكبير بين أسلوب الشيخ رضي الله عنه في تفسيره «إيجاز البيان» وفي التفسير الذي قمت بجمعه من كلامه وبين هذا التفسير المزور والمنسوب إليه ، كما يقف القارىء على الفرق بين المعاني الجميلة والإشارات اللطيفة في كلام الشيخ وبين الكلام في تفسير الكاشاني الذي لا يكاد يفهم منه شيء ، لأنه ينحو إلى الفكر والاتجاه الباطني الذي يرمي القارىء في متاهات الحيرة فلا يعرف الخروج منها .

ومن أجل ذلك ولمحاولة الوقوف على فهم الشيخ الأكبر رضي الله عنه للقرآن الكريم ، قمت بالعمل أكثر من خمس وعشرين سنة في جمع وتصنيف وترتيب ما كتبه الشيخ الأكبر في كتبه التي بين أيدينا ، مما يصلح أن يكون تفسيراً لبعض آيات القرآن سواء من الناحية الظاهرة على نسق التفاسير الأخرى من الأحكام الشرعية والمعاني العربية ، أو ما يصلح أن يكون تفسيراً صوفياً لبعض آيات القرآن وهو ما يسمى بالاعتبار والإشارة ، في التوحيد والسلوك وسميته «رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن» تمشياً مع عقيدة الشيخ الأكبر في شمول الرحمة وعدم سرمدة العذاب وقد أثبت بعض المعاني الجميلة مع قلتها من بعض الكتب التي لا نقطع بصحة نسبتها إلى الشيخ مثل كتاب «رد الآيات المتشابهات إلى الآيات المحكمات» وكتاب «تلقيح الأذهان» وكتاب «فصوص الحكم» فإنها معان لا تتعارض مع ما جمع من كتب ثابتة للشيخ ، وقد قمت بإثبات الموجود من تفسير «إيجاز البيان» على هامش هذا التفسير تأكيداً لاتفاق المعاني وتوضيحاً لأسلوب الشيخ ومنهاجه العلمي ، كما سيجد القارىء كثيراً من المعاني التي انفرد بها الشيخ رضي الله عنه في تفسير القرآن وهي من السهل الممتنع التي تطرب لها الأرواح ويرتاح إليها كل ذي رحمة تدعو إلى رفع الجُناح ، وقد أفردت في نهاية كل مجلد فهرساً لمراجع جمع تفسير الآيات ، مشيراً إلى مصادر جمعها المتعددة ليسهل على المحقق الرجوع إليها والله أسأل أن ينفعني والمسلمين بهذا العلم الشريف .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

دمشق ٦ صفر ١٤٠٩هـ
١٧ أيلول ١٩٨٨م .

محمود محمود الغراب
ص.ب ٣٣٣

الافتتاح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ليس لأوليته افتتاح كما لسائر الأوليات ، الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى الأزليات ، الكائن ولا عقل ولا نفس ولا بسائط ولا مركبات ، ولا أرض ولا سموات ، العالم في العماء بجميع المعلومات ، القادر الذي لا يعجز عن الجائزات ، المريد الذي لا يقصر فتعجزه المعجزات ، المتكلم ولا حرف ولا أصوات ، السميع الذي يسمع كلامه ولا كلام مسموع إلا بالحروف والأصوات والآلات والنغمات ، البصير الذي رأى ذاته ولا مرئيات مطبوعة الذوات ، الحي الذي وجبت له صفات الدوام الأحدي ، والمقام الصمدي ، فتعالى بهذه السمات ، الذي جعل الإنسان الكامل أشرف الموجودات ، وأتم الكلمات المحدثات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير البريات ، وسيد الجسمانيات والروحانيات ، صاحب الوسيلة في الجنات الفردوسيات ، والمقام المحمود في اليوم العظيم البليات ، الأليم الرزيات .

اعلم أن الله أنزل الكتاب فرقانا في ليلة القدر ليلة النصف من شعبان ، وأنزله قرآنا في شهر رمضان ، كل ذلك إلى السماء الدنيا ، ومن هناك نزل في ثلاث وعشرين سنة فرقانا ، نجوما ذا آيات وسور ، لتعلم المنازل وتتبين المراتب ، فمن نزوله إلى الأرض في شهر شعبان يتلى فرقانا ، ومن نزوله في شهر رمضان يتلى قرآنا . واعلم أن الله أنزل هذا القرآن حروفا

إيجاز البيان
في الترجمة عن القرآن
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق، فمما جاءت به صلوات الله عليهم الصحف المطهرة والكتب المنزلة المشرفة ، وكل صحيفة وكتاب بلسان قوم الرسول الذي أُنزلت عليه تلك الصحيفة أو الكتاب ، ومن جملة الكتب المنزلة هذا القرآن العربي المنزل على سيدنا محمد ﷺ ، على طريق الإعجاز عن المعارضة ، فهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فهو محفوظ عن أن يزاد فيه

منظومة من اثنتين إلى خمسة أحرف متصلة ومفردة ، وجعله كلمات وآيات وسوراً ونوراً وهدى وضياء وشفاء ورحمة وذكراً وعربياً ومبيناً وحقاً وكتاباً ومحكماً ومتشابهاً ومفصلاً ، ولكل اسم ونعت من هذه الأسماء معنى ليس للآخر ، وكله كلام الله ، ولما كان جامعا لهذه الحقائق وأمثالها استحق اسم القرآن ، فإنه ما سمي قرآنا إلا لحقيقة الجمعية التي فيه ، فإنه يجمع ما أخبر الحق به عن نفسه ، وما أخبر به عن مخلوقاته وعباده مما حكاه عنهم ، فالقرآن هو الذي له صفة الجمع ، من قريت الماء في الحوض إذا جمعته ، وفي الجمع عين الفرقان ، إذ الجمع دليل الكثرة ، والكثرة آحاد ، فهو عين الافتراق من عين الجمع ، فهو الفرقان القرآن ، فلنذكر مراتب بعض نعوته لتُعلم منزلته .

فمن ذلك كونه حروفاً ، والمفهوم من هذا الإسم أمران : الواحد المسمى قولاً وكلاماً ولفظاً ، والأمر الآخر يسمى كتاباً ورقماً وخطاً ، والقرآن يخط فله حروف الرقم ، وينطق به فله حروف اللفظ ، فلماذا يرجع كونه حروفاً منطوقاً بها ؟ هل لكلام الله الذي هو صفته أو هل للمترجم عنه ؟ فاعلم أن الله قد أخبرنا نبيه ﷺ أنه سبحانه يتجلى في القيامة في صور مختلفة فيُعرَف ويُنكَر ، ومن كان حقيقته تقبل التجلي في الصور ، فلا يبعد أن يكون الكلام بالحروف المتلفظ بها المسماة كلام الله لبعض تلك الصور كما يليق بجلاله ، فكما نقول تجلى في صورة كما يليق بجلاله ، كذلك نقول تكلم بصوت وحرف كما يليق بجلاله ، ونحملها محمل الفرح والضحك والعين والقدم واليد واليمين وغير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة ، مما يجب الإيمان به على المعنى المعقول من غير كيفية ولا تشبيه ، فإنه يقول « ليس كمثله شيء » فنفى أن يماثل مع عقل المعنى وجهل النسبة ، فإذا انتظمت الحروف سُميت كلمة ، وإذا انتظمت الكلمات سُميت آية ، وإذا انتظمت الآيات سُميت سورة ، فلما وصف نفسه بأن له نَفَساً كما يليق بجلاله ، ووصف نفسه بالصوت والقول ، وقال « فأجره حتى يسمع كلام الله » كان النَفَس المسمى صوتاً ، وكان انقطاعه من الصوت حيث انقطع يسمى حرفاً ، وكل ذلك معقول مما وقع الإخبار الإلهي به لنا ، مع نفي المماثلة والتشبيه كسائر

أو ينقص منه بطريق التغيير لكونه معجزة « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » من التغيير والتبديل والتحريف ، و لم يكن ذلك لغيره من الكتب لأن سائر الكتب لم تنزل على طريق الإعجاز ، فلذلك حَرَّف فيها مَنْ حرف وبدَّل من بدل ، ومع هذا فإذا حدثنا أهل الكتاب بحديث عن كتابهم فلا

الصفات ، ولما وصف نفسه بالصورة عرفنا معنى قوله إنه الظاهر والباطن ، فالباطن للظاهر غيب ، والظاهر للباطن شهادة ، ووصف نَفْسَه بأن له نَفَساً ، فهو خروجه من الغيب وظهور الحروف شهادة ، والحروف ظروف للمعاني التي هي أرواحها ، والتي وضعت للدلالة عليها بحكم التواطؤ ، وقال تعالى « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم » وأبلغ من هذا الإفصاح من الله لعباده ما يكون ، فلابد أن يفهم من هذه العبارات ما تدل عليه في ذلك اللسان بما وقع الإخبار به عن الكون ، فيعرف المعنى الذي يدل عليه ذلك الكلام وتعرف النسبة ، وما وقع الإخبار به عن الله يعرف المعنى الذي يدل عليه ذلك الكلام وتجهل النسبة ، لما أعطى الدليل العقلي والدليل الشرعي من نفي المماثلة ، فإذا تحققت ما قررناه ، تبينت أن كلام الله هو هذا المتلو المسموع ، المتلفظ به المسمى قرآنا ، فحروفه تعيّن مراتب كلمه من حيث مفرداتها ، ثم للكلمة من حيث جمعيتها معنى ليس لآحاد حروف الكلمة ، فللكلمة أثر في نفس السامع لهذا سميت كلمة في اللسان العربي ، مشتقة من الكَلْم وهو الجرح ، وهو أثر في جسم المكلوم ، كذلك للكلمة أثر في نفس السامع ، أعطاه ذلك الأثر استعداد السمع لقبول الكلام بوساطة الفهم ، لابد من ذلك ، فإذا انتظمت كلمتان فصاعداً سمى المجموع آية ، أي علامة على أمر لم يعط ذلك الأمرَ كلُ كلمة على انفرادها ، مثل الحروف مع الكلمة ، إذ قد تقرر أن للمجموع حكماً لا يكون لمفردات ذلك المجموع ، فإذا انتظمت الآيات بالغاً ما أراد المتكلم أن يبلغ بها ، سمى المجموع سورة ، معناها منزلة ظهرت عن مجموع هذه الآيات ، لم تكن الآيات تعطى تلك المنزلة على انفراد كل آية منها ، وليس القرآن سوى ما ذكرناه من سور وآيات وكلمات وحروف ، هذا من كونه كلاماً ، فإن أنزلناه كتاباً ، فهو نظم حروف رقمية لانتظام كلمات ، لانتظام آيات ، لانتظام سور ، كل ذلك عن يمين كاتبة ، كما كان القول عن نَفَس رحماني ، فصار الأمر على مقدار واحد وإن اختلفت الأحوال ، لأن حال التلفظ ليس حال الكتابة ، وصفة اليد ليست صفة النَفَس ، فكونه كتاباً كصورة الظاهر والشهادة ، وكونه كلاما كصورة الباطن والغيب ،

نصدقهم ولا نكذبهم ، بل نقول آمنا بالله ورسوله ، وإن كانوا صادقين لم نكذبهم وإن كانوا كاذبين لم نصدقهم ، كذا أمرنا رسول الله ﷺ ، ولما طهر الله سبحانه كتابنا هذا وقدسه عن التحريف سماه قرآنا مهموزا ، ولما جمع فيه ما تفرق في سائر الصحف والكُتب وجميع ما يحتاج إليه من المعارف